# يوميات بحار .

## ١ ـ رجب

لم يمض على وصولى من الغوص خمسة أيام حتى طلبنى « نوخذا السفر » لأبدأ العمل فى سفنته لأنه لم تبق على الموسم إلا أيام معدودات يجب أن نجهز فيها سفينتنا للرحلة القادمة . وما أن علمت زوجتى بالخبر حتى وقع عليها كالصاعقة وانخرطت أمامى فى بكاء مرير . ولا لوم عليها إن بكت إذ لم تتمتع بسعادة الحياة الزوجية التى طالما تاقت إليها وانتظرتها بفارغ الصبر .

إننا معشر البحارة قوم نكون السواد الأعظم من الشعب الكويتى الذى عاش ولا يزال يعيش على البحر . فحياتنا تمشى على وتيرة واحدة . عمل شاق متواصل نقضيه فى عرض البحر وبين أمواجه .

حياتنا كلها مغامرات ومخاطرات !

حياتنا غربة مريرة ، بعيدين عن الأهل وفى منأى عن الأوطان والأصحاب .

حياتنا شقاء وعذاب . .

حياتنا معلقة بين يدى الأقدار .

فالبحار منا يترقب الموت فى كل يوم بل وفى كل ساعة فهو لايدرى أتهب اليوم عاصفة هوجاء تودى به وبأصحابه فيطويهم البحر بين أمواجه ويبتلعهم إلى قراره أم ترتطم سفينتهم غداً بجزيرة صغيرة فى عرض البحر فيذهبون ضحية الأقدار .

إنى لاأريد أن أتحدث عن مصاعب البحر ومصائبه الكثيرة وحوادثه المتعددة ، فقد سبقنى فى هذا المضمار كثيرون ولو أردت لما استطعت أن أحصرها فى هذه اليوميات القليلة المختصرة .

## ٥ ـ رجب

ذهبت اليوم مبكراً إلى « ديوان النواخذة » حيث وجدت جمعاً من إخوانى البحارة فأخذنا نتحدث فى شؤوننا ومصائبنا وأخذت أستمع إلى كل واحد منهم . وهنا يأخذك العجب إذا قلت لك أن كل واحد منا نحن البحارة قصة مريرة مؤلمة .

فهذا شاب لايزال فى أول شبابه وصل أمس من الغوص وطلب اليوم للابتداء فى العمل كما طلبت وعجبت حين سألته ـ ويحق لى ولك أن نعجب ـ عن عدم استطاعته البقاء بين أهله وعدم الموافقة على هذا السفر المبكر عجبت عندما قال لى إنه لايستطيع الرفض لأنه مدين بمبلغ يقدر بآلاف من الروبات . .

أما كيف تجمع عليه هذا المبلغ الكبير من الدين فهذا ما سأسرده موجزاً .

قال الشاب وهو ينفث دخان سيجارته بعصبية ظاهرة ويرسل الزفرات واحدة تلو الأخرى ، قال : إننى لم يمض على فى مزاولة هذه المهنة ـ أى مهنة السفر ـ إلا سنة واحدة فقط .

وبادرنى الشاب عندما حاولت أن أفتح فمى لأسأله قائلا : على رسلك ياصاح ، فأنا متوقع سؤالك هذا وعالم بما يدور فى خلدك أفتريد أن تسألنى كيف تجمع على هذا المبلغ الضخم وأنا لم أزاول هذه المهنة إلا سنة واحدة ، وقبل أن ينتظر منى الموافقة على سؤاله استمر يسرد قصته قائلا :

لقد كان لى أب قضى عشرين عاما فى خدمة هؤلاء القوم وتراكم عليه مبلغ ضخم لم يستطع سداده لقلة المحصول وكثرة المصروف ، وعندما اختاره الله سبحانه وتعالى الى جواره طالب دائنوه بما لهم عليه من دين ، وبما أن والدى لم يترك لنا غير هذا البيت ـ إن صح أن يسمى بيتا ـ الذى اسكنه ووالدتى وأخواتى لم يتورع هؤلاء القوم من مطالبتنا بإخلائه ؟ .

وحين تسأل أو تحتج يقولون لك إنه القانون ؟ أى قانون هذا الذى ينص على تشريد مثل هذه الأسرة المسكينة وعلى فرض أن القانون نص على ذلك فأين الإنسانية أين الضمير ؟ أيرضى أحدكم أن يرى عائلة تطرد من بيتها لالذنب جنته . لتعيش عالة على المجتمع ؟ هل يسمح ضميرك أن تترك هذه العائلة بيتهـا لتسكن على قارعه الطريق أو فى أماكن مهجورة ؟ ؟

وأقسمت والدتى ـ رحمها الله ـ حين علمت بالأمر أغلظ الايمان على أنها لن تبرح البيت ولو كان فى ذلك هلاكها وأخذت تبكى وتندب وأخواتى من حولها يبكين

أيضـــاً ويندبن ، وكان منظراً يفتت الأكباد وتمنيت لو أنى مت قبل أن أرى أسرتى على وشك التشرد .

وعندما ذهبت إلى « النواخذة » أسألهم الرأفة والعطف على هذه الأسرة التى نكبت بموت عائلها ، وها هى ذى ستنكب فى فقد بيتها وملاذها وكل ماتبقى لها فى الوجود . أتدرى ماذا كان جوابهم على ذلك ، طلبوا إلى أن أكتب على نفسى تعهداً بأن أعمل فى خدمتهم وأسافر مع سفنهم حتى أسدد ماعلى أبى من دين ؟ وهكذا وقعت ذلك العقد الجائر تحت تلك الظروف الحرجة القاسية .

وها أنا ذا الآن لاأستطيع التصرف فى حريتى الشخصية التى هى ملك لكل إنسان بل ليخيل إلى أنى مملوك لهؤلاء القوم يتصرفون بى كيفما يشاءون وهذا شاب يقول إنه أراد أن ، يسافر مع هؤلاء النواخذة وفعلا أخذ منهم مبلغاً من المال اشترى فيه مايلزمه وعائلته وفى يوم السفر وبينما كان يحاول فك الشراع عن السارية وقع من شاهق وجرح عدة جروح أدخل على أثرها المستشفى وسافرت السفينة وتركته عدة أشهر لايستطيع حراكا ، الأمر الذى جعله يستدين لينفق على نفسه وأسرته.

وعندما جاءت السنة الثانية طالبوه بدفع المبلغ الذى أخذه منهم وعندما حاول أن يفهمهم بأن السبب الذى أقعده عن العمل هى تلك الجروح التى أصيب فيها بينما كان يؤدى عمله فى سفينتهم ، فبدلا من أن يعطفوا عليه ويعطوه تعويضاً على ذلك أجبروه على أن يدفع ماأخذه أو أن يسافر معهم بدون « سلف » .

ولما كان لايملك سداد ذلك الدين اضطر صاغراً على السفر معهم ومنذ ذلك اليوم والديون تتراكم عليه حتى أصبح مجبراً على ترك أهله وصحبه ليسافر معهم عله يستطيع أن يسدد ماعليه من مال .

وغير هذا وذاك كثيرون لهم من القصص مالو أردت سرده لطال بى الحديث ولتشعبت أمامى الطرق بل إنى لأحتاج إلى المجلدات لأجمع لك مثل هذه المآسى . .

لم نستطيع مقابلة النوخذة فى هذا اليوم لأنه كان مدعواً فى حفلة سمر خارج المدينة . .

« طبق الأصل »

**جاسم عبد العزيز قطامى**

## نُبـــــل

أعْيا عَلىَّ أخٌ وثقت بودِّهِ ... وأمنتُ فى الحالات عقبى غدرهِ

وَخبرت هذا الدهر خبرة ناقدٍ ... حتى أنِستُ بخيرهِ وبشرهِ

لاأشترى بعد التجارب صاحباً ... إلاَّ وددتُ بأننى لم أشرهِ

ويجىء طوراً ضرهُ فى نفعهِ ... جَهلاً وطوراً نفعه فى ضرهِ

فصبرتُ لم أقطع حبال وداده ... وسترت منه ماستطعت بسترهِ

وأخٍ أطعت فما رأى لى طاعة ... حتى خرجتُ بأمره عن أمرهِ

وتركت حلوَ العيش لم أحفل بهِ ... لما رأيتُ أعزهُ فى مُرِّهِ

والمرءُ ليسَ بغانم فى أرضهِ ... كالصقر ليس بصائدٍ فى وكرهِ

أنفقْ من الصبر الجميل فإنه ... لم يخشَ فقراً منفق من صبرهِ

واحلمْ وإنْ سفه الجليس فقل له ... حسنَ المقال إذا أتاك بهُجرهِ

فأحبُّ إخوانى إلى أبشُّهم ... لصديقه فى سرهِ أو جهرهِ

لاخيرَ فى برِّ الفتى مالم يكن ... أصفى مشارب برهِ فى بشرهِ

ألقى الفتى فأريد فائض بشرهِ ... وأجلّ أن أرضى بفائض برّهِ

يارب مضطغن الفؤاد لقيته ... بطلاقة تغنيك مافى صدرهِ

« أبو فراس الحمدانى »